قريباً جداً...
بعد سبع من الدمار والدماء

الحرمل

السنة الرابعة / العدد 78 / 01 نيسان 2018

الحرية دائماً

sayı 78 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

قيامة الغوطة... التدمير والاقتلاع والموت

سوريو الفيسبوك في عامهم السابع

السلالة العلقمية دورة متأصلة بالخيانة

ريمه العجاجي صوت ثوري نابض بالحياة

العودة.. وبقايا دمية تحت ركام القصف

إفتتاحية العدد

الحرب بأشكال أخرى..!

ماجد رشيد الموعد

بينت إحدى الخرائط المسربة مناطق النفوذ في سوريا، وتوزعها بين الدول الأربع المتحكمة بالشأن السوري. تظهر الخريطة سيطرة تركية مع الجيش الحر، من جهة الشمال، على كامل الشريط الحدودي، ومن جهة الشرق تسيطر أمريكا مع القوات الكردية على ما بقي من دير الزور والرقة وبعض مناطق الحسكة وبعض الريف الحلبي. من جهة الجنوب تظهر سيطرة أمريكية مشتركة مع الجيش الحر، وأما بطن هذه الخريطة فيتقاسمه النظام مع داعميه من الإيرانيين والروس.

لا يعني تسريب هذه الخريطة أنها الشكل النهائي للدولة السورية، غير أنها تعني وبكل تأكيد استمرار الأزمة، والحرب بأشكال جديدة عقدين آخرين أو أكثر من الزمن. وإذا ما تم استثناء الشريط الحدودي والذي يتفاوت عمقه من مكان إلى آخر، فإن بقية المناطق لا تبدو قابلة للحياة. بطن الخريطة المطل على البحر غير قابل للحياة من الناحية الاقتصادية حيث لا توجد، خارج أنها تطل على البحر، ثروات تمكنها من البقاء والاستمرار. شرق سوريا الذي ضم الباقي من محافظات الجزيرة السورية، وإن كان مؤهلاً نوعاً ما من الناحية الاقتصادية إلا انه بمثابة الجيب الخلفي بلا منافذ حدودية، وسيكون محدداً للقوات التركية من الشمال ولقوات النظام وداعميه من جهة الغرب، وأما في الجنوب حيث الجيب الأمريكي الثاني مع فصائل الجيش الحر المحددة للمملكة الأردنية فلا يملك من المقومات شيئاً باستثناء بعض الزراعة التي لا تقيم أود دولة ناشئة.

هذه الخريطة ولدت ميتة إذا لم تكن الغاية منها استمرار الحرب بأشكال جديدة لمدة زمنية لن تكون بالتأكيد قصيرة. فمن بعد حاجة الخريطة السورية في هيئتها السابقة إلى مئات مليارات الدولارات لإعادة إعمارها، والتي لن تتوفر في ظل التقاسم الحالي لمناطق النفوذ ناهيك عن عدم إمكانية إعادة إعمار البطن الخاص بالنظام من قبل داعميه الإيرانيين والروس لضآلة اقتصادهما وضعفه. بقية المناطق أيضاً لن تتمكن من إعادة الإعمار لأنها ستكون عرضة لدعم متواصل من النظام على تخريب أمنها وعدم تمكينها من توفر الفرصة الملائمة لإعادة الإعمار، عبر تهيئة المناخ لصراع عربي كردي يدوم طويلاً.

إذا ما صحت الخريطة فإن الغاية من هذه الكانتونات دخولها في صراع دائم، وإذا ما تم تقسيم البلد وفقها وضمّت تركيا حصتها من الكعكة السورية فربما سيكون هذا القسم الوحيد الذي سينال بعض العافية مستفيداً من إمكانيات دولة كبرى في الإقليم.

حرباء وإن غيرت جلدها..!

تعثر عمليات رفع الأنقاض وانتشال الجثث في الرقة..

الحرمل ـ خاص

تم الإعلان عن تأسيس حزب جديد في مدينة الرقة يتبع لقوات سورية الديمقراطية، التي سيطرت على المدينة بعد معركة استمرت أربعة أشهر، قتل خلالها أكثر من 2500 مدني وما زالت جثث بعض العائلات كاملة حتى اليوم تحت الأنقاض، المعركة كانت بمواجهة تنظيم «داعش» الإرهابي كم تصفه قوات التحالف الدولي في تصريحاتها الرسمية، لكن الحقيقة أن قوات التحالف الدولي وقوات سورية الديمقراطية كانت قد ساعدت أكثر من أربعة آلاف مقاتل في صفوف «داعش» في الخروج الآمن من مدينة الرقة بحجة الحفاظ على حياة المدنيين وممتلكاتهم، لكن القصف والقتل لم يتوقف إضافة إلى وجود هذا الكم الهائل من الألغام المزروعة في كل مكان جعل فاتورة القتل كبيرة بين أهالي مدينة الرقة المحاصرين أو العائدين إليها بعد التشرد واللجوء.

تسعى وحدات حماية الشعب إلى التقرب من المكون العربي في محافظة الرقة ومدينة منبج، خاصة بعد تزايد رقعة العمليات العسكرية التركية في تلك المناطق ومنطقة غرب الفرات، حيث شهدت سيطرة قوات الجيش الحر المدعوم تركياً على كامل منطقة عفرين.

«سوريا المستقبل» هو الاسم الجديد للحزب الذي تم تشكيله في مدينة الرقة، ويعتبر هذا الحزب الذراع السوري لحزب العمال الكردستاني، وامتداداً لحزب الاتحاد الديمقراطي المسيطر فعلياً على كافة القرارات، كما هو الحال في وحدات حماية الشعب، التي تسيطر على قوات سورية الديمقراطية.

وفي تعريف هوية الحزب كما ذكر المجلس الإعلامي لمجلس الرقة المدني: هو حزب سياسي جماهيري مستقل، يتخذ من العلنية والديمقراطية نهجاً لنضاله السلمي، ويمثل فعالية وقوة وإرادة سياسية تنظيمية من مواطني سوريا، تجمعهم رؤية مشتركة موحدة، وبرنامج سياسي فكري وأهداف مشتركة، يرفض كافة المفاهيم والمواقف الشوفينية والعنصرية، يؤمن بالتعددية وحرية المعتقد والفكر، ويسعى الحزب إلى الحفاظ على وحدة أراضي سوريا وتمتعها بعلاقات سلمية مع جيرانها، ويجمع بين الأصالة المجتمعية والحداثة الديمقراطية والمساواة بين الجنسين.

منذ رفع صور أوجلان في ساحة «الشهداء» بمدينة الرقة كما يطلق عليها أبناؤها من قبل قوات سورية الديمقراطية التي سيطرت على المدينة، لم تقدم تلك القوات الخدمات التي كان من المفترض تقديمها لأهالي مدينة الرقة على الرغم من توفر كافة الإمكانيات المدنية والبشرية، إضافة إلى الدعم المادي الذي تلقته تلك القوات من دول التحالف الدولي والمنظمات الأوربية بمختلف أهدافها، يشتكي الكثير من المواطنين العائدين للمدينة حديثاً من كثرة الركام في الشوارع الفرعية وعدم الاهتمام بها، ورفع الأنقاض التي تغلق الشوارع بشكل نهائي مما يجعل الحياة فيها شبه مستحيلة في ظل وجود جثث كثيرة تحت الركام، وانتشار الروائح الكريهة من تلك المناطق، إضافة إلى الخوف من انتشار الأمراض المعدية والمستوطنة والسارية، نتيجة تفسخ تلك الجثث، وانتشار الروائح، وتعطل شبكتي الصرف الصحي ومياه الشرب.

وفي ظل انعدام الأمن في مدينة تفتقد لمقومات الحياة، فقد حدثت فيها الكثير من السرقات التي تركزت على الأجهزة الطبية من عيادات خاصة للأطباء إلى المشافي الخاصة والعامة، ومن المؤكد أن قرار منع التجوال الذي أصدرته قوات سورية الديمقراطية قد ساعد كثيراً على عمليات السلب والنهب دون محاسبة أحد، اعتمدت تلك القوات على آلة إعلامية تشابه في طرحها ما قام به الإعلام السوري التابع لنظام بشار الأسد من حيث محاولة إظهار الدعم الشعبي «العربي» خاصةً، والاعتماد على وجوه عربية لا يعترف بها أهالي الرقة كممثلين لهم في أي محفل مدني أو سياسي، هذه الواجهة ليست سوى تجميل لصورة المحتل الجديد باسم التحرير الذي دمّر أكثر من 80% من البنى التحتية للمدينة وممتلكات المدنيين فيها، في الوقت الذي تظهر فيه حلقات للرقص والدبك في ساحات المدينة ومدارسها يكون هناك معظم أهالي المدينة يبحثون عن نقطة ماء تروي عطشهم حيث بلغ سعر البرميل الواحد أكثر من مئتي ليرة سورية.

عمليات ترميم غرفة واحدة في منزل مهدم، وعلى حساب المواطن شخصياً دون تقديم أي نوع من المساعدة المادية أو البشرية من تلك القوات، ورغم الحاجة المادية لكل سكان مدينة الرقة إلا أن تلك القوات أصدرت قراراً تعسفياً بخصوص الترميم يتوجب على المواطن الحصول على ترخيص من مجلس الرقة المدني كي يبني حائطاً يستر عائلته من البرد والحر ومن عيون المتلصصين، وقد نشرت بعض الصور من قبل نشطاء في مدينة الرقة عن كتابات باللون الأخضر على جدران بعض المنازل كُتب عليها «جدار للهدم»، في إشارة من المجلس للقيام بهدم هذا الجدار لعدم وجود رخصة للبناء، لاقى هذا القرار استياءً كبيراً لدى أهالي المدينة مما جعل المجلس المحلي يصدر بياناً مثيراً للسخرية ذُكر فيه أن سبب القرار هو محاولة الأهالي بناء بعض الغرف في الحدائق والممتلكات العامة، بينما الحقيقة والتي لا تخفى على أحد هي أن المواطن لا يملك ثمن قوت يومه ولا يملك مالاً حتى يبني غرفة واحدة في منزله المتهدم نتيجة لغلاء المواد الأولية واحتكارها من قبل جماعات تؤسس وتروج أعمالها تحت حماية تلك القوات، حتى أن بعض الجماعات قد جلب للمدينة آلة مصنوعة محلياً لتعديل قضبان الحديد المستخرجة من أنقاض البيوت وبيعها لاحقاً.

من الأخبار الواردة من مدينة الرقة إنشاء كتيبة نسائية من بنات الرقة دون سن الثامنة عشر، وبراتب مغرٍ يصل إلى حدود 400 دولار، في صورة تعكس توجه حزب الاتحاد الديمقراطي في إعطاء دور للمرأة موازٍ لدور الرجل، دورها عسكري أولاً، وتتكفل منظمة شبيبة روج آفا التي يرأسها قيادي في وحدات حماية الشعب بتنظيم وتدريب الفتيات، وكان أول ظهور لهذه الكتيبة هو المساهمة في تنظيم مسيرة مؤيدة لحملة دعم عفرين.

الرقة اليوم أشبه بمدينة منكوبة تعود إلى الحياة ببطء، وهي تواجه أخطار محدقة، تتمثل باستيقاظ أمراض شتى إن لم يتم تدارك الأمر، ويتمثل بتدخل عاجل للمنظمات الإنسانية بقوة أكبر، وبفعالية أقوى، إضافة لذلك ما يتطلبه من وعي لتدارك التجاوزات التي تحاول تمريرها قوى الأمر الواقع التي توفر المناخ الملائم للسرقة والنهب وأعمال الخطف والتهديد. وإلا فالقادم يُنذر بكارثة أكبر بانتظار أهل الرقة.

العودة..!

عروة المهاوش

يقف مأمون أمام ركام بيته الذي نُهب أيضاً، فآثار تكسير القطع الإسمنتية واضحة لاستخراج ما تبقى من الحديد فيها وبيعها في سوق الحديد لاحقاً لإعادة تدويرها وبيعها مجدداً لاستكمال عمليات ترميم المنازل في المدينة.

ثلاث سنوات قضاها مأمون خارج مدينة الرقة بعد استيلاء «داعش» عليها تنقل خلالها عدة مرات بين المدن السورية وقراها، وحين كان يضيق به الحال كمعظم السوريين كان يدخل وعائلته إلى المخيمات «المعسكرات»، والتي كانت لها قوانين صارمة في الدخول مع منع الأشخاص من الخروج منها حتى في أقسى الحالات، والتي تستدعي الخروج للمعالجة الصحية التي انتهت في قصص كثيرة بالموت المحقق داخل أسوار «المعسكر».

بين الركام وتحت إحدى القطع الإسمنتية الكبيرة لمح مأمون شيئاً جعل قلبه يتوقف عن النبض لحظات ليعود بكامل طاقته ثانية، وبتسارع أكثر، لم يعد يهتم فيما إذا كان هذا البحث سوف يقضي على آخر ما تبقى له من ثياب نظيفة، ولا بكمية الغبار التي سوف تغير ملامحه فلا يعود معروفاً لأحد، فالمدينة بالأصل لم تعد تعرف ساكنيها، ولا أهلها باتوا يعرفون ملامحها التي تدمرت وباتت ركاماً وغباراً يملأ الأجواء حين تتحرك أي سيارة في شوارعها.

رغم الغبار الكثيف وبقايا الأحجار لمح بعين الأب دميةً صغيرة بلونها الزهري الباهت جداً، بضع خطوات تفصله عنها، لكنه حينها تذكر كيف اقتطع من راتبه القليل بعض الليرات كي يشتري تلك الدمية لطفلته حين كان عمرها لا يتجاوز السنتين، في محل الألعاب اختار أن تكون الدمية متوسطة الحجم، تتحمل عبث الطفولة وشقاوتها، وغير قابلة للفك والتركيب كما الدميات البلاستيكية لمعرفته أنها لن تصمد بيد طفلته حين يحاول أخوها الأكبر اللعب معها فترفض لينتهي الأمر بدمية متقطعة الأوصال والأطراف، ولربما سيجد الرأس ذات يوم هنا والذراع هناك، وأما الجسد فلا وجود له.

حين لامست أصابعه الدمية، خُيل له أنه أوجعها وسمع أناتها وهي ترزح تحت تلك القطعة الإسمنتية الكبيرة، فارتدت يده أولاً، ثم نظر حوله وجلس قبالتها قريباً منها يحدثها، لم ينتبه إلى الوقت ولا للـمّارة الذين لم يستغربوا هذا الشرود والذهول الذي يمتلكه، ولم يسمع تحيتهم ويرد عليها. قبيل مغيب الشمس بقليل انتبه أنه لم يعد يرى اللون الزهري، فرك عينيه مراراً خوفاً من أن يكون الغبار قد أصبح حاجزاً بين عينيه وبين اللعبة، نادى لأحد الشباب العائد، كان يحمل بيده مطرقة كبيرة لتكسير الأحجار وطلب المساعدة بشرط أن يتعاونا فقط على رفع القطعة الإسمنتية بكل حرص وهدوء دون إيذاء الدمية، في البدء كان الشاب يعتقد أن هناك جثة إنسان ما زال حياً طمرها الركام لكثرة التوصيات بالحذر، وحين علم أنها مجرد دمية ضحك في سره على هذا الرجل المجنون.

وضع الدمية في حجره ونفض عنها الغبار بيديه، ثم خلع عنه غطاء رأسه، وبدأ بالضرب بهدوء على الدمية حتى عاد إليها لونها الزهري، استدار ونادى ابنته التي لم تكن موجودة وقال: «هاك بنيتي لعبتك كما هي»، بكى حين تذكر كيف حمل ابنته بين ذراعيه جثة باردة، مبتسمة وخصلة شعر كانت تغطي عينيها وكيف أنه جعل من كوفيته حاجزاً بين الشمس الحارقة ووجهها حتى لا تحرقه.

أصابه التعب والجوع والعطش فبدأ يستجمع ما تبقى له من ذاكرة فيها بعض أسماء الأقارب وأماكن تواجدهم، وكان يرغب ببيت قريب من مكانه حتى يعود صباحاً إلى ركام بيته، ويحرس بأمانة ذكرياته الضائعة، نادى بصوت بالكاد يسمع فكان الجواب أن تفضل وحياك الله، حين دخل الغرفة المظلمة سوى من سراج وبعض الشموع، تسمرت الوجوه وقفزت نحوه أشباح يعرفها وتعرفه، باغتته الأصوات المهللة والمرحبة به، كانوا جميعهم يريدون عناقه بوقت واحد، ضمهم إلى صدره جميعاً ولم يترك حينها الدمية من يده بل كان يشدّ عليها أكثر.

استمرت سهرتهم حتى الفجر فنام أهل البيت متعبين، في الصباح حين استيقظوا وجدوا الدمية مغسولة ونظيفة، وقد علقها على غصن شجرة الليمون التي تتوسط باحة المنزل وجثة باردة استندت إلى جذع الشجرة.

مقاربات واقعية

صالح الحاج صالح

(1)

في بداية سيطرة حافظ الأسد على سورية، لم يعجبه عدد السكان القليل (6 مليون)، وانطلاقاً من أنه قائد عظيم ولا يكفيه هذا الرقم الضئيل، أصدر مرسوماً تشريعياً تشجيعاً لزيادة النسل، تضمن إعفاء العائلة التي لديها -على ما أذكر- أربعة أولاد وما فوق، من أجور النقل الداخلي، وتخفيضاً في تذاكر المواصلات العامة، وإعفاءً من الرسوم الجامعية، وتخصيص راتب 25 ليرة سورية لكل ولد مهما كان عددهم..

في بداية الثورة السورية، نسب كلام لأحد قادة الأجهزة الأمنية أنه، ومعه أفراد القوات المسلحة لديهم القدرة على إعادة عدد سكان سورية (24 مليون) إلى ما كان عليه عام 1970 وأنه مستعد لتحمل ذلك شخصياً.. عام 2017 وفي كلمة علنية يقول بشار الأسد: «إن الحرب دمرت البنية التحتية، لكننا ربحنا مجتمعاً أكثر صحةً وتجانساً».

العقل والسلوك النازي للأسدين، الأب والابن ولأجهزتهم الأمنية، زيّن لهم أن سكان سوريا وشبابها ملك العائلة «المستقبل للشباب، ومن يريد امتلاك المستقبل عليه امتلاك الشباب..»، يقول حافظ الأسد عام 1985 بمؤتمر اتحاد الشبيبة. والشباب هم أبناء حافظ الأسد، وجيل الشهيد باسل الأسد حسب إعلام النظام. لكن عندما يثور الشباب يتم قتلهم وإبادتهم وتدمير مدنهم وتهجيرهم للوصول إلى مجتمع متجانس.

(2)

في الأدب وفي السينما، يتم تدريب الخائف من أمر ما على الصراخ عدة مرات «أنا لست خائفاً، أنا لست خائفاً»، ويظهر مفعول صراخه مباشرة -حسب الكاتب أو المخرج- بتحوله إلى كائن جديد يرتكب من الفظائع ما يفوق مسببات خوفه.. اليوم نرى نماذج من هذا الصنف يدربون أنفسهم على الصراخ، أنا لست طائفياً. أنا لا أؤمن بالطوائف والقوميات، أنا حضاري وكل الإثنيات لا تعنيني، وبذلك تساوى لديه من يرتكب المجازر والإبادة بحق فئة معينة، مع من تعرض لها.. من قال: «إن الزعبرة لا تفيد!».

(3)

ما يفسر اندفاع عائلة الأسد وأقربائها وأحبابها وحلفائها بتدمير سوريا، هو حجم الجرائم والخراب الذي قاموا به.. الرجوع غير ممكن وغير متاح، وإعطاء ما للناس للناس غير وارد في خياراتهم، فلم يبقَ إلا رهانهم الوحيد على مزيد من القتل والتدمير وإذلال السكان، مع فتح المزاد أمام دول المنطقة والدول الكبرى للحصول على حصصها..

هذا الرهان الذي اختاره نظام آل الأسد قاله من خمس سنوات على لسان وزير خارجيته: «من يريد الاعتداء على سورية، عليه التنسيق معنا»، وهذا الخيار قيل قبل تدمير عشرات المدن والبلدات السورية وإزالة بعضها من الوجود، وقيل في بداية فتح الباب لإيران وأذرعها وروسيا ثم لحقت بهم أمريكا وتركيا.. «في حدا على بالو من الدول والتنظيمات؟ تفضلوا..»

ريمه العجاجي صوت ثوري نابض بالحياة

الحرمل ـ خاص

في مدينة جنيف السويسرية وبدعوة من المركز الدولي للعدالة الانتقالية، وبحضور فعاليات قانونية ومدنية وشخصيات دولية مهتمة بالشأن السوري، وقفت ابنة الرقة الناشطة ريمه العجاجي، وأدلت بشهادتها المستندة إلى تجربتها الشخصية حول التعليم في الرقة، ومصير الجيل الذي ذهب ضحية النظام والاحتلالات اللاحقة للمدينة... حولت شهادتها إلى محاكمة للنظام، وبينت وشهدت على مجازر النظام ضد طلاب المدارس، جاء ذلك في الحديث الذي أدلى به الشاعر والفنان أحمد ظاهر حول مشاركة الناشطة ريمه العجاجي في جلسة الاستماع «ضمير»، التي عُقدت في جنيف السويسرية مؤخراً، بمشاركة ضحايا سوريين نقلوا تجاربهم في جلسة استماعٍ عامة، وركزوا خلالها على أثر دمار المدارس أمام جمهور عالمي ضم نشطاء وصانعي سياسات ومنظمات دولية وإنسانية وآخرين. وستكون أصواتهم وتجاربهم وأولوياتهم جزءاً لا يتجزأ من أي خطوات نحو تحقيق العدالة والمساءلة مستقبلاً، فضلاً عن منع تكرار الانتهاكات في سوريا.

ويقول الظاهر: «حين سألوها عن أفق الحل كانت إجابتها... لا حلول تحت ظل الاحتلالات.. الحل الأمثل هو سقوط النظام الفاشي وبعدها نحن سنعالج جروحنا، وأي حل آخر هو تسويف ومزيد من القتل.

اليوم كانت الرقة تحاكم المجتمع الدولي بلسان ريمه العجاجي، التي عاشت الثورة وبقيت مخلصة لها، ريمه تمتلك صفات المرأة السورية التي التزمت بأهداف الثورة، تصدع بالحق، وإن اختلفت مع أحد في الرؤية فإن اختلافها مع الآخرين لا يفسد ودها واحترامها للآخر، تعمل بصمت، لا تتسرع باتخاذ المواقف التي نختلف عليها، دائماً ميزانها الثورة وسوريا البلد، سوريا المواطنة والثورة، لم تعمل مع منظمات أو هيئات أو مجالس، ظلت مخلصة لمشروع الثورة بجهودها البعيدة عن أي أجندة.. ريمة العجاجي بمثلها تستمر الثورة، ويبقى الأمل في طهارة ونقاء وثورة المرأة الرقية.. تحية لها وكل التقدير والاحترام».

ترأس منصة جلسة الاستماع «ضمير» كلٌ من:

- نافي بيلاي؛ مفوض الأمم المتحدة السامي السابق لحقوق الإنسان.
- بابلو دي غريف؛ المقرر الخاص للأمم المتحدة المعني بتعزيز الحقيقة والعدالة والجبر وضمانات عدم التكرار.
- ديفيد تولبيرت؛ رئيس المركز الدولي للعدالة الانتقالية.

وتقول العجاجي في معرض حديثها حول هذه المشاركة: «العدالة في سوريا يجب أن تتجاوز المحاكمات، وكلنا بحاجة إلى المشاركة والانخراط بهذا الحدث، وبأحداث ترفع الظلم عن السوريين في شتى مجالات الحياة».

وجاء في الكلمة التي ألقتها العجاجي: «أنا هنا لست من أجل عرض ما حدث فلن تكفي ساعة أو يوم للحديث عن الوضع، فوسائل الإعلام بكل أشكالها مليئة بآلاف الملفات والتقارير عن الأحداث في سوريا ولعل ملف أمنيستي الذي وثق 13 ألف شهيد قضوا تحت التعذيب في سجون الأسد لم يكن آخرها.. أنا هنا ومن خلال هذا المكان أوجه نداءً، بل صرخة باسم جميع الآباء والأمهات في سوريا، وباسم جميع الطلاب الذين حرموا من التعليم والمدارس، وباسم جميع المعلمين الأحرار لكل من يحمل بداخله إنسان حقيقي أن نسعى جميعاً بدلاً من التفكير بمشاريع إعادة الإعمار، التفكير في بناء الإنسان الذي تهدم بداخل كل طفل في سوريا، وفي أي مكان في هذا العالم، ونتركهم بعدها، هم من يقومون ببناء سوريا، ولكن لن يحدث ذلك ما دام نظام الأسد وحلفاءه مستمرون بإبادة هذا الشعب وما يجري الآن في الغوطة الشرقية وما يقابلها من صمت وخذلان خير دليل».

سوريو الفيسبوك في عامهم السابع

علي العائد

فوضى الرأي عند السوريين في وسائل التواصل الاجتماعي وجه آخر لفوضى السياسية، والسلاح، في التشكيلات السورية التي تظن أنها تتحدث وتفعل باسم الشعب السوري الثائر منذ سبع سنوات، دون أن يلمس هذا «الشعب» نتيجة لما يفعله هؤلاء.

بالطبع، ينطبق ذلك بصورة قد لا تكون مختلفة كثيراً في معسكر المؤيدين للنظام الأسدي، ليمثلوا أيضاً صورة مقاربة للنظام، بطريقة فيها كثير من الفاشية، وما يقترب من التمثيل بجسد الضحية التي لا تزال تقاوم الموت، فقط تقاوم، كي لا تعلن الاستسلام.

يتكرر ذلك في كل يوم، خاصة أن السوريين أصبحوا شعوباً، حتى تكاد كل مدينة وقرية في سوريا تمثل شعباً، فالعرب تعاطفوا مع الرقة حين قصفتها طائرات التحالف، ومدفعية «قسد»، ودمرت الجزء الأكبر منها، بينما يتعاطف الآن الأكراد مع عفرين، ويعتبون على العرب أنهم قصروا في التعاطف مع عفرين. في حين يحاول بعض جمهور الفيسبوك الآن مقايضة تعاطف بتعاطف، أي تعاطفوا أيها «الأكراد» مع مدن إدلب التي تعيش تحت النيران كي نتعاطف معكم في عفرين.

قد تكون صفحات الفيسبوك مجرد إحصاء عينة، لكنها من دون شك عينة معبرة، إذا أخذنا مثالاً محدداً على ذلك، وليكن الموقف من مؤتمر سوتشي الذي لن يتكرر بالتأكيد، ولا تؤشر مخرجاته على أي نجاح في المستقبل القريب، أو البعيد.

وأن تكون مع فكرة المؤتمر، أو ضدها، قبل المؤتمر أو بعده، فهذا رأيك، ولا أحد يستطيع وصف رأيك بالفاسد. مع ذلك، كانت لغة الشتائم هي الأبرز في هذا المهرجان الخطابي المفتوح. أما ما لا يحتمل التأويل فهو الآراء الفاسدة التي تداولت الصور، وبدأت بإفراغ شحنات من الإحباط، وتناولت الحاضرين والغائبين في شرفهم وأعراضهم، مع ثقة كل من كتب في هذا الاتجاه أن كل من حضروا لا يستطيعون التنازل عن ثوابت الثورة حتى لو أرادوا، وحتى لو حاولت روسيا الضغط عليهم كي يفعلوا ذلك.

الأكثر دلالة على ذلك كان تركيبة الوفد العملاق الذي أرسله النظام الأسدي إلى سوتشي على متن طائرات شركة رامي مخلوف «أجنحة الشام»، وبغض النظر عن وجود فنانين وفنانات قد لا يُعجب أحدهم فنهم، فالمشكلة ليست هنا، بل في تمثيل هؤلاء لشريحة الفنانين في سوريا، من الذين أعلنوا ولاءهم للنظام منذ البداية، ولم يبدلوا رأيهم، وفي الشك في تمثيل الشخصيات العشائرية للعشائر، وفي تمثيل التجار الحاضرين لرجال الأعمال الموالين. كل ذلك يدل أن النظام اختار وفده بعناية، ومن أصغر الشخصيات الممثلة لفئاتها، من الفنانين والتجار والعشائر، إضافة لأشخاص يمثلون طوائفهم، بمعنى أن النظام «حقَّر» وفده كي يهين المعارضة إذا قررت المشاركة في المؤتمر. والأخبار المؤكدة أن أشرس من دافع عن النظام (في جلسات الهرج والمرج في سوتشي) هم شخصيات عشائرية، وفنانون. فيما طلب بعض السياسيين من الداخل التماس العذر لهم عن غياب صوتهم بسبب الخوف من الشبيحة تحديداً، الذين تفوق سطوتهم الآن سطوة المخابرات في الداخل.

الأمثلة الحية على ذلك أكثر من تعد، لكننا في حين نعيب على الموالين للنظام الأسدي التصاقهم بالقاتل وتشبههم به، فعل كثير من مؤيدي الثورة ما يشبه ذلك، من السياسيين بأدائهم السياسي الهزيل، والعسكريين بتجاوزاتهم على حياة وحرية المدنيين، ومن الفيسبوكيين بتداول الشائعات، والتجاوز على مبادئ أخلاقية في كيل التهم كل على هواه، وتأليف تفاصيل تعجز عنها حتى أجهزة محاسبة متخصصة، أو لجان تحقيق خبيرة.

كل ذلك قد يبرره بعضنا بحرية الرأي، أو بأنها الخطوات الأولى في الحرية التي تحتمل حدوث مثل هذه الحالة. لكن مرور سبع سنوات زاد في تفاقم حالة تشبهنا بقاتلنا الذي شردنا في الأرض، بدل أن نتعلم مع مرور الوقت أن هذا الخطأ قاتل، وأن فشل السياسيين والعسكر في حسم المعركتين السياسية والعسكرية ضد النظام لا يمكن تفسيره فقط في فساد هؤلاء، أو عدم خبرتهم، كون وجود ذلك العدد الكبير من الدول المتدخلة في سوريا أكبر من طاقة هؤلاء على الفعل، فهم بلا شك يريدون تحقيق نجاح، وإنهاء مأساة السوريين، بل ويريدون إسقاط النظام لو استطاعوا.

نعم، سياسيو وعسكريو الثورة السورية فاشلون، ويمكن تخيل عشر بدلاء لكل واحد من هؤلاء، لكن لا أحد يمكنه ضمان أن البديل سيكون أفضل. وحتى لو كان أفضل فلا شيء يضمن تمكنه من إنهاء زمن الحرب، والسير في اتجاه سلام ما.

وعليه، سيتابع جمهور الفيسبوك «عمله» في إفراغ شحنات الغضب، والانتظار، وانسداد الأفق، في العام الثامن للثورة على الأقل.

الحرملي

أوضاع مأساوية في الرقة..!

الحرملي

تؤكد الأنباء الواردة من الرقة الحالة المتردية التي وصلت إليها المدينة، من فقدان للأمن رغم القبضة الأمنية القوية التي تمسك بزمام الأمور، لكن على ما يبدو انحصر دور قوى الأمر الواقع في مسألة أولى هي الحفاظ على تواجد هذه القوى على أرض الواقع، وفرض هيمنتها وقبضتها الأمنية على الناس، والتفرغ لعملية مسك الأرض، ومنع أي تحرك سياسي أو عسكري يسعى لتغيير الواقع، وإعادة المحافظة لأبنائها.

آخر الأنباء الواردة من الرقة تقول إن شخصاً وقف على باب خيمة عزاء، في حي هشام بن عبد الملك، شرق مركز المدينة، وألقى بقنبلة يدوية داخل الخيمة وفرّ هارباً، وترك خلفه أحد عشر مصاباً، تم نقلهم إلى مستوصف أطباء بلا حدود لتلقي العلاج والإسعافات الأولية، وقبلها حدثت أعمال تصفية لشخصيات عامة، كان أحدهم يمسك بملف إعادة الإعمار، وآخر يمسك بملفات خاصة بالمفاوضات التي أفضت بخروج الدواعش من الرقة، وأخيراً عملية تصفية عمر علوش، عراب قوات سورية الديمقراطية، والصندوق الأسود لحزب الاتحاد الديمقراطي.

وكما تجري أعمال التصفية والاغتيالات دون أن تترك العناصر المنفذة أي دليل وراءها، يحدث بالتوازي معها أعمال نهب وسطو مسلح على عيادات الأطباء والصيدليات والمستوصفات والفعاليات الاقتصادية الأخرى، يقال إن من ينفذها أو على الأقل بعضهم ينتمون إلى قوات الأسايش، قوات الأمن الداخلي التابعة للبيدا، وتم تداول أسماءهم على صفحات الناشطين وغرف الأخبار الخاصة بناشطي الرقة، دون أن ينفذ بحقهم أي إجراء قانوني، يتضمن الاعتقال والاستجواب والتحقيق، الذي يفضي إلى المحاسبة القانونية.

وبالتوازي مع هذه الأفعال، نشطت ظاهرة الخطف بقصد الفدية، وأصابع الاتهام دائماً موجهة إلى عناصر بعينهم ينتمون إلى قوات سورية الديمقراطية، ولا مجال للحديث عن الآثار السلبية التي تحدثها مثل هذه الأفعال، ويترتب عليها عدم الاستقرار في ظل واقع أمني ضعيف البنية، إن كان عن قصد أو سوء نيّة.

مدينة الرقة، وفي ظل ما حدث لها من دمار، انتشرت مجموعات على شكل عصابات، عملها الأساسي سرقة وتعفيش منازل الغائبين، وهناك مجموعات اختصت بسرقة مخلفات الدمار من حديد وأخشاب ومواد خردة، ومع كل هذا الوضع المأساوي بدأت ملامح الحياة المتجددة تعود إلى مدينة الرقة، رغم غلاء مواد البناء وارتفاع أجور اليد العاملة، وفي ظل ندرة المال، وعلى علات وسوء الأوضاع قامت بلدية الشعب بفرض رسوم على إعادة الإعمار التي تكفل بها أبناء الرقة، رغم أن البلدية صرحت مراراً عبر وسائل الإعلام أن الرسوم وأعمال هدم المخالفات، قد تمت على تعديات وتجاوزات ومخالفات وتوسيعات قام بها بعض الأهالي في بعض المناطق، وهي إجراءات لا بد من حدوثها منعاً للتعدي على الأملاك العامة.

رغم ما يهدد الرقة من أوضاع كارثية بالتزامن مع قدوم فصل الصيف، وتعثر إجراءات إزالة الأنقاض ورفعها، وانتشال جثث الضحايا من تحت الركام، وربما تشهد الشهور القادمة أياماً عصيبة من الناحية الصحية في ظل تردي الواقع الصحي وندرة أسباب العلاج، نأمل أن تتداركه المنظمات الدولية، وتقوم أولاً بإعادة تأهيل المشفى الوطني، وتوفير الدواء ومستلزمات العمل الصحي لتفادي استيقاظ الكثير من أمراض البيئة والأمراض المستوطنة، إضافة للأوبئة التي من الممكن حدوثها نتيجة انهيار بنية الصرف الصحي، وانقطاع مياه الشرب النقية.

السلالة العلقمية..!

طارق عبدالغفور

قلنا في مقال سابق إن الصمود وحده لا يجلب نصراً، وإن صمود ستالينغراد لم يكن هو السبب في انتصار الجيش الأحمر بل هجومه على الجيش النازي، وكذلك الأمر في جبهة النورماندي.

جيوش «المعارضة» وفيالقها اكتفت باتباع تكتيكات الصمود في وجه هجمات جيش النظام والميليشيات المتحالفة معه، وأستطيع القول إنها لم تكن تكتيكات حقيقية، ذلك أن الجهد الحقيقي لجيش النظام وميليشياته لم يكن منصباً على جيوش المعارضة وفيالقها بقدر ما كان منصباً على المدنيين العُزّل الذين كانوا هم الدافعين الحقيقيين لفاتورة «الحرب الساكنة» بين فريقي النظام والمعارضة، والتي تضخّمت أرقامها بعد دخول الروس الحرب على الشعب إلى جانب النظام وصاروا من حلفائه.

بعد كل حرب أو معركة أو حتى مناورة، يوجد ما يُسمّى بالدروس المستفادة التي يُستخلص منها ما كان إيجابياً فيُثبّت، وما كان سلبياً فيُتحاشى، لكنّ ما بدا أظهر أن جيوش المعارضة وفيالقها لم تستخلص مما مرّت به دروساً مستفادة، بل يبدو أنها لم تسمع بها أصلاً، ولمن يبحث عن أدلة فهناك مئات منها، ومنها مؤخراً أن فيلق الرحمن خرج من مناطق تواجده، ولا يزال جيش الإسلام يكرر -حتى الآن على الأقل- أنه لن يخرج.

ثورة الكرامة التي قام بها الشعب السوري أُخرجت عن مسارها، بل يُمكن حقاً القول إنها سُرقت. سرقتها كل الفصائل التي رفعت الشعارات الإسلاموية مُستغِلةً بكلّ خبث ما يُمكن أن نطلق عليه «التديّن الفطري» لدى الشعب البسيط، كما سرقها كلّ من تنطّع لحمل راية المعارضة السياسية بغير كفاءة، وفيهم الكثير ممّن لم تكن دوافعه لتقلّ خبثاً عن أولئك.

إذا كانت الثورة تعني خروجاً مسلّحاً أو غير مسلّح على نظام ما بهدف تغييره فإن كل الدلائل تشير الى أن ثورة الشعب السوري قد فشلت، وإذا كانت الثورة تعني انطلاق فكرة يدعمها خروج مسلح أو غير مسلح لشعب ضدّ نظام بهدف تغييره أو إسقاطه، فإن ثورة الشعب السوري لم تفشل إلاّ أنها ما زالت في بداية طريق طويل يتحتّم عليها فيه أن تتخلّص من أوشابٍ علقت بها، ويتحتّم عليها فيه أن تبذل الكثير من الجهد لكي تبقى نظيفة وقوية وقادرة على السير وزمام أمرها بيدها لا بيد غيرها.

الفصائل التي خرجت من الغوطة، والفصائل التي لم تخرج بعد -ولكنها ستخرج- لم يكن قرارها بيدها لأنها سلّمته لمن أظهروا أنفسهم على أنهم داعمون لها ولم يكونوا في حقيقة الأمر كذلك، بل بيّنت الأحداث بما لا يدع مجالاً للشكّ أنهم لم يكونوا داعمين لها بل كانوا لاعبين بها. ولسنا نُغالي إذا قلنا إن القادة الأعلين لهذه الفصائل كانوا يعلمون تماماً حجمهم وموقعهم عند أولئك «الداعمين اللاعبين» والدور الذي رسموه لهم ليقوموا به وهم يفعلون.

يُذكر في التاريخ ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم ودوره الخياني في سقوط بغداد بيد هولاكو، ويذكر التاريخ أفراداً آخرين فعلوا مثل فعلته، ذلك أنه حلقة في سلسلة أو سلالة لن تنتهي طالما توالى الليل والنهار. لكن أفراد هذه السلالة لا يقرأون التاريخ وهم يسعدون بجهلهم إلى أن يصفعهم التاريخ عندما يدوّن أسماءهم في هذه السلالة ومنهم على وجه اليقين أولئك الداعمون اللاعبون من «الأشقاء العرب» الذين رفعوا براقع الحياء عن وجوههم وأعلنوا أن الأسد باقٍ في السلطة، ومنهم أيضاً هؤلاء المتنطعون الذين ركلهم اللاعبون بهم على مؤخراتهم بتصريح صفيق مثل تصريح ولي العهد.

ابن العلقمي لم يمت إلاّ بجسده، لكنه بفعله باقٍ ويتناسل، وهو بفعله لعنة حقيقية أصابتنا، وعلاجها ليس باجتثاثها لأنه مستحيل، بل بفضحها وكشف أشخاصها الداعمين اللاعبين والمتنطعين لعلهم يتلقون على أيدينا صفعة التاريخ.

نحن ونظرية المؤامرة...

أحمد المجيلي

يعاني صديقي من سيطرة نظرية المؤامرة على تفكيره في كل خطوة يخطوها في غربته الجديدة في ألمانيا، ولا يكاد يمرّ أيّ موقف دون أن يتم إرجاعه إلى نظرية المؤامرة حسب رؤية وتفكير هذا الصديق. كنت كثيراً ما أشعر بالرغبة في الضحك من طريقته في التفكير، وأنصحه في كل مرّة بمراجعة طبيب نفسي ينظر في حالته علّه يجد له ما يريح نفسه ويهدئ من روعه، وكان كثيراً ما يصاب بالإحباط من طريقتي في التفكير ويشكو من عدم تصديقي له في نظرياته التي تسيطر على تفكيره؛ يعيش صديقي هواجس عدّة تجعله واثقاً من المؤامرة الكونية التي تحاك ضدّ الجماعة الأكبر التي ينتمي إليها وهي المسلمون، ومن ثمّ حين يريد التأكيد على صحة نظرياته يلجأ إلى تضييق نطاق المؤامرة ليشمل فقط المسلمين العرب، وبعد تفكير وأخذٍ و ردٍّ يجعل الدائرة تضيق لتكون موجّهة فقط ضدّ المسلمين العرب السنّة، وأنّ العالم أجمع اتفق على تصفية هذه الجماعة، وتهجيرها من بيوتها واستبدالها بجماعات أخرى تنتمي إلى مجموعات دينية أو عرقية بهدف التغيير الديموغرافي المنشود حسب القوى الإمبريالية والصهيونية العالمية المتعاونة مع الأنظمة الاستبدادية والشمولية في بلادنا العربية؛ وما قامت به أوربا من استقبال للمهاجرين السوريين الهاربين من أتون الحرب في سورية هو في الواقع جزءٌ من تلك المؤامرة والمخطط العالمي بهدف تفريغ سورية من سكانها الأصليين وهم المسلمون العرب السنة.

كنت كثيراً ما أسخر من آرائه وأناقشه بمنطق مختلف عن نظرياته، وحين أظهر له فشل تلك النظرية من خلال الحجة والمنطق، كنت أرى في عينيه نظرات اليأس والإحباط منّي كوني لا أشاركه هذه النظرية المعجب بها. فأنا تقريباً أسعى إلى التفكير دوماً بحرية أكثر دون الانطلاق من مرجعيات دينية أو عرقية قد تؤثر على رؤيتي للأمور بشكلها الصحيح وأحاول تجريد فهمي للأمور من خلال المنطق بعيداً عن نظرية المؤامرة التي ما زال كثيرون يرددونها ويطلقون أحكامهم القيمية دونما تفكيرٍ أو وعي مسبق بطبيعة الحوادث التي تجري من حولنا يومياً. إلا أنني وجدت في حديثه بالأمس ما جعلني أتوقف لبرهة قصيرة أراجع فيها نظرية المؤامرة التي ساقها صديقي كعادته حول أحد المواضيع. ففي أمسية جمعتنا نحن المغتربين في ألمانيا، جلسنا نتجاذب أطراف الحديث حول ما يجري في سورية وكلٌّ منّا يدلي برأيه حسب رؤيته، وتبعاً لخلفيته الثقافية والاجتماعية، فالموجودون يمثلون تقريباً غالبية النسيج الاجتماعي السوري ومن مناطق سورية متعددة. كعادتنا دار النقاش وتشعبّت المواضيع إلى أن بادر أحد الأصدقاء غير المهتمين بالسياسة بتشغيل مقطع صوتي للفنان صباح فخري ورفع الصوت بحيث يغطي على أصوات المشاركين في الحوار، فانتبهنا إلى النغم الذي بثّه صديقنا فتبدّل الجو إلى تمايل الأصدقاء جميعهم على ألحان: يا مال الشام ويا لله يا مال... ومن ثمّ تتالت الطلبات إلى قدّك الميّاس وخمرة الحب وغيرها من القدود الحلبية التي تطرب الأذن وتنعش الروح الحائرة في حبائل الغربة. وبعد قليل تنوّعت الأغاني لتشمل عبد الحليم وناظم الغزالي إلى أن استقرّ أحدهم على طلب أغنية ألف ليلة وليلة لكوكب الشرق أم كلثوم، فهدأت الأصوات وراح كلّ واحد فينا يعيش مع الأغنية واللحن فينتقل بها إلى حيث تذكّره بأناسٍ كانوا جزءاً من حياته وأماكن شكّلت أجزاء أخرى من ذاكرته وشخصيته فارتبطت أغاني أم كلثوم وعبد الحليم وصباح فخري بماضينا وذكرياتنا وشخصياتنا. فجأة قرر صديقي صاحب نظرية المؤامرة إفساد تلك الأجواء كعادته ليطلق تنهيدة طويلة مع دخان كثيف من سيجارته وكأنه يريد أن يثبت لنا صدقية حديثه من خلال دخان سيجارته الذي يعكس ناره المشتعلة في داخله، فراح يحدّثنا عن أهمية تكوين هذه الأغاني لشخصياتنا وكونها جزءاً لا يتجزأ من ماضينا، إلا أنّ ما يريده المتآمرون علينا هو طمس تلك الهوية، وتشويهها من خلال استبدال الأغاني أيضاً. ضحك بعض الأصدقاء كالعادة من نظريات صاحبنا التي تدعو في غالبها إلى الضحك والسخرية من سطحية الفكرة وهشاشتها، إلا أنني توقفت عند هذه النقطة وقررت الوقوف إلى جانب صديقي هذه المرة. فقد وجدت في مقولته هذه المرّة ما يجبرني على التفكير بطريقته أو على الأقل محاكمة الموضوع بطريقة تشبه نظريته القائمة على الشك في كل شيء. إذ إنّه من الصعب على المرء منّا أن يجد مبرراً لهذا الانزياح الرهيب في الذائقة الفنية لأجيالنا الجديدة، خاصّة إذا ما تمّت المقارنة بين الذائقة الفنية لجيل الستينات أو السبعينات حين كانوا في ربيع العمر مع الذائقة الفنية للأجيال الجديدة اليوم؛ حيث نلحظ فارقاً عظيماً بين الجيلين من حيث نوعية الأغاني والمغنين وصولاً إلى كلمات وألحان الأغنية. فالجيل القديم كان يطرب ويتمايل على النغم الرصين والكلمة المعبّرة أو التي تحتوي على صور فنيّة بلاغية، حتّى إنّ معظمهم يتفكّر في معاني الكلمات ويحفظها عن ظهر قلب، بينما الجيل الجديد ممن يعدّون من فئة الشباب تجدهم ينساقون رويداً رويداً إلى نوعٍ بعيد نسبياً عن ثقافتنا وتاريخنا وميولنا الفنية، فتجدهم يسمعون بأرجلهم وهم يرقصون لا بآذانهم، حسب تعبير صديقي صاحب نظرية المؤامرة.

قد يرى البعض إنّ هذا أمرٌ طبيعي ويحصل في كل حقبة زمنية تمثّل صعود جيل جديد وانتقاله إلى مرحلة عمرية أخرى، وقد يكون ما نعدّه اليوم فنّا أصيلاً ربما كان ينظر إليه الكهول قديماً على أنّه فنٌ هابطٌ ودون المستوى. ربما يبدو التحليل منطقياً للوهلة الأولى، إلا أننا مهما نظرنا إلى المستقبل، وما يمكن أن تكون عليه الذائقة الفنية لا يمكننا أن نتخيل أنها ستصل إلى مستوى أدنى من هذا الذي نشهده اليوم من انحطاط للذائقة الفنية لدى أجيالنا الصاعدة؟ هنا وقفت إلى جانب صديقي وتساءلت بصدق: هل يُعقل أنّ نظرية المؤامرة شملت حتى الجانب الفني من شخصياتنا، وهل ما نشهده اليوم هو جزءٌ من مؤامرة عالمية تهدف إلى تشويه هويتنا وطمس تاريخنا وذكرياتنا؟! أم إننا حقيقةً وصلنا إلى أدنى مرحلة من الانحطاط الفني والثقافي تترافق تلقائياً مع انحطاطنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي تشهده بلداننا العربية؟! كيف لا وقد عاد سيف الإسلام القذافي إلى الساحة السياسية، وقد يترشح للانتخابات وربّما يفوز بها، وفي مصر الكنانة وجدوا أنّ «البلحة» هي السبيل الوحيد إلى الخلاص المنشود، أمّا في الشام فقد ارتأت وزارة التربية والتعليم أنّ التغيير والتطوير والتحديث لا يمكن دون تحديث المناهج الدراسية، فوضعوا لطلابنا في كتاب القراءة والنصوص الأدبية قصيدة:

الفيلُ يستحمُّ... طش طش... انهمرَ الماءُ.

الغوطة الشرقية...

ليث المز

بطولة الثوار والنهايات المؤلمة؟!!.

أولاً لم يكن غريباً أن تبدأ أفواج النزوح بالآلاف من الغوطة الشرقية؛ فنحن أخيراً أمام حرب محكومة بموازين القوى غير المتكافئة بشكل مطلق على الأرض، ولم يكن غريباً أيضاً أن تتقلص مناطق الثوار المحررة، ليعود إليها النظام الاستبدادي المجرم، وآلة التدمير والقتل بهمجيتهم التي دمرت أغلب البلدات والقرى التي تقدمت فيها، هذا غير الشهداء من شعبنا من مدنيين وأطفال ونساء وكبار السن، ونزوح جماعي خارج هذه البلدات، فقط للحفاظ على الحياة ولو برمي أنفسهم في جحيم النظام القاتل.

ثانياً: نعترف أن ما يحصل في الغوطة الشرقية الآن، هو عملية إبادة جماعية لبعض الشعب السوري الذي لم يستسلم بعد للنظام القاتل، وأن ذلك يحصل بمعرفة دولية وإقليمية كاملة، فما يحصل في سوريا يتابع مباشرة عبر أجهزة الاستخبارات في العالم كله، ووسائل الإعلام وتوثيق الناشطين على الأرض، لا سر في ما يحصل في سوريا والغوطة الشرقية، كله تحت الضوء وبمعرفة دولية وإقليمية، ونعترف أن الثوار والسياسيين المنتمين للثورة السورية، أدركوا مبكراً ومنذ ٢٠١٥ أن الثورة السورية تركت لمصير أقرب للهزيمة. فعندما واجه النظام الثورة بالعنف العسكري، واستجاب الثوار للعنف بالعنف، وتطور التدخل الدولي والإقليمي في سوريا كساحة صراع مصالح ونفوذ، وإرادات دول عدة كل منها وجد له استراتيجيته التي عليه أن ينفذها ليحصل على حصته من الكعكة السورية، أو المأساة السورية؛ كما حصل فعلاً على الأرض.

ثالثاً: كان رد النظام العالمي على الربيع العربي بالرفض، بداية كان الاستيعاب، ومن ثم كان إسقاط هذا الربيع واحتمالاته الإيجابية على شعوب دوله جميعها، وكون انتصار الربيع العربي ينعكس بالضرر- بالضرورة- على دول النظام العالمي المسيطرة ومصالحها، وكان لكل بلد طريقة خاصة في إسقاط ثورته، وكان لسوريا مسار مختلف في ذلك؛ فسوريا تتناقض فيها مصالح دولية وإقليمية، ولأن هذه الدول لم تشأ أن تخوض صراعاً بينياً مباشراً في سوريا، فقد اختارت أن يكون هذا الصراع بالواسطة وعبر الشعب السوري نفسه، ومن خلال استجلاب مرتزقة دوليين للمساعدة بالقيام بهذه المهمة على الأرض.

رابعاً: في الحالة السورية؛ سمح للنظام الاستبدادي السوري أن يستعمل العنف بكل درجاته لمواجهة مطالب الشعب السوري بالحرية والكرامة والعدالة والديمقراطية، وانعكس ذلك على الثوار بعدم قبول الانكسار والانهزام، لذلك لجؤوا إلى السلاح لمواجهة عنف النظام. ولأن للنظام حلفاء أهمهم روسيا وإيران بشكل أساسي، فقد أوحوا إليه بدعمه المطلق من قبلهم، وهو كنظام مستبد قمعي مستعد لأي عمل ضد الشعب السوري ليستمر في الحكم، وهكذا بدأ النظام القاتل دورته الدموية بحق الشعب السوري؛ ونحن على أبواب العام الثامن للثورة السورية. روسيا اعتبرت سوريا آخر قلاعها في الشرق الأوسط بعد سقوط العراق عبر احتلاله من الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم تسلم حكمه لسلطة تابعة للإرادة الأمريكية، وكذلك سقوط القذافي في ليبيا، لذلك تدخلت في مجلس الأمن الدولي وعطلت أي ادانة جدية للنظام، وفتحت مخازن السلاح والخبراء، واعتباراً من ٢٠١٥، شاركت مع النظام حرباً على الشعب السوري وثورته بقوة جواً وعلى الأرض، بحيث عدلت -مع عوامل أخرى- ميزان الصراع لصالح النظام السوري، وكذلك إيران ومنذ وصول الخميني إلى السلطة في إيران، تحالفت استراتيجياً مع النظام السوري أيام حافظ الأسد وابنه بعده، وكانت لهم استراتيجيتهم المتوافقة في كل الملفات، الخليج والعراق ولبنان.. الخ، لذلك اعتبرت أن إسقاط النظام السوري هو إسقاط أهم داعمي مشروعها التوسعي الإيراني بثوبه الإسلامي الشيعي الطائفي، ووضعت كل ثقلها المادي والعسكري لمنع سقوط النظام، وإسقاط الثورة السورية، وكان من أساليب الدعم ضخ المرتزقة الطائفيين لمساعدة النظام في حربه ضد شعبه وعلى رأسهم حزب الله اللبناني والمرتزقة العراقيين والافغان وغيرهم كثير.

خامساً: بالمقابل ظهر الغرب الأمريكي والأوروبي متعاطفاً مع مطالب الشعب السوري وحقه ببناء دولته الديمقراطية، ولكن ذلك لم يتعد الدور الإعلامي وبعض الدعم العسكري عبر غرف الموم والموك التي ضبطت حدود الدعم ومداه، بحيث لا يتجاوز حالة الدفاع عن النفس في مواجهة النظام، ووضعت حدوداً عسكرية، أهمها منع السلاح النوعي، وخاصة مضاد الطيران لأسباب واهية، وحدوداً سياسية أهمها الإعلان الدائم عن عدم حل المشكلة السورية عسكرياً، وأن الحل سياسي بتوافق الأطراف السورية وعبر الرعاية الدولية، وولد عبر ذلك بيان جنيف١ وبعده القرار الدولي ٢٢٥٤ وما تلاه وكلها تؤدي -إن حصلت- على إعادة إنتاج النظام السوري الاستبدادي نفسه دون تغيير حقيقي. وتوقف الدور الأوروبي على حدود الدعم الإنساني الإغاثي للمنكوبين السوريين، وحماية بلادهم من طوفان الهجرة السورية إليهم؛ واستثماره لمصالحهم إن أمكن.

سادساً: الوضع على الأرض كان أسوأ من ذلك، فتدخل (اسرائيل) لدى أمريكا وروسيا، ودعمها لرفض إسقاط النظام السوري، وتحويل الواقع السوري لمقتلة دائمة للشعب، ومزيد من الاصطفاف الطائفي للصراع، وتبلوره صراع «علوي شيعي في مواجهة السنة»، وهذا حرف بوصلة الثورة لتأخذ الطابع الإسلامي الذي أصبح أكثر حضوراً، وتحول عند البعض ليكون امتداداً للقاعدة، وتبلورت بعدها جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، مما أعطى مبرراً للغرب أن يتنصل من دعم الثورة، على ندرته، ويلتفت لمحاربة الإرهاب الداعشي، وترك النظام وحلفائه يدمرون سوريا ويقتلون ويشردون شعبها.

سابعاً: لم تستطع الدول التي دعمت الثورة السورية بالسلاح أو سياسياً، وبالأخص دول الخليج وتركيا، أن تتجاوز ما وضع لها من خطوط حمر. تركيا التي التفتت إلى مصلحتها القومية؛ حيث هادنت كل الأطراف لأجل منع تشكيل كيان كردي جوارها في سوريا، واقتصر دورها مع الثورة السورية عبر رعاية حلول ومنطق خفض تصعيد ترعاها هي وروسيا وإيران، ورضى أمريكي، يراد منها إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة.

بلا ضفاف

قريباً جدّاً..

أمجد آل فخري

قبل الوصول إلى شبّاك قطع التذاكر في صالة العروض السينمائيّة يستوقف النظّارة المحتَملون عبارة مكتوبة بحروف نافرة وألوان مبهِجة مُلفتة، تحوطها الأضواء تقول: (قريباً جدّاً).. وخلفها مستطيلات تحوي صوراً للقطات مثيرة من العروض المُبرمجة المعلَن عنها، تبدأ بـ«العرض القادم»، ثم «الشهر القادم» ثم «الموسم القادم»..

هذا المشهد يعيشه السوريّون سنة جديدة بعد انقضاء سبع سنين من الدماء والدمار والألم والاقتلاع.. فمنذ بداية الثورة 2011/3/15 تكرّرت (قريباً جدّاً) ملايين المرّات وبكل لغات الأرض.. رأس النظام بدأها، (قريباً جدّاً) ستقوم الدولة واللجان التي شكّلتها الحكومة بمعالجة المشكلات التي يعاني منها المواطنون -متناسياً أن الشعب يريد إسقاط النظام-، و(قريباً جدّاً) سيتمّ تعديل الدستور، و(قريباً جدّاً) سيُفرَج عن المعتقلين بسبب المظاهرات، و(قريباً جدّاً) سيتمّ تبييض السجون، وبعدها تُرجمت العبارة بلسان أركان النظام وشبّيحته بـ(خِلصِت)..

وكان الدور العربيّ مكرّراً (قريباً جدّاً)، لتكون لجنة «الدابي»، و(قريباً جدّاً) صارت تدور على الألسنة في كلّ مكان مع كوفي أنان وستّ النقاط التي اقترحها لتكون عماد جنيف بنسخته الأولى.. وتتالى (قريباً جدّاً) مرحلة تلو مرحلة، يجترّها العالم وهي تجترّ أرواح السوريين ودماءهم دماراً وقتلاً واغتصاباً وتهجيراً ولجوءاً. وعندما كان خطّ أوباما الأحمر وتحريكه أساطيل أمريكا صوب المتوسّط، كان لـ(قريباً جدّاً) مذاقٌ يختلف عمّا سواه بعد سحب الأساطيل مع السلاح الكيماوي.. ليبقَى القاتل وتُصادَر أداة الجريمة.. (قريباً جدّاً) وقال النظام «خلصت»، وكادت أن تصل (قريباً جدّاً) من إسقاط النظام، لتظهر «داعش»، ولتدخل ميليشيات إيران اللبنانية والعراقية والأفغانية والباكستانية واليمنية، فتؤجّلها مواسمَ، ثم تأتي روسيا لتقول (قريباً جدّاً) ستسقط الثورة ويبقى النظام، ولم تألُ جهداً بدءاً بالفيتو وليس انتهاء بسلب النظام قراره..

(قريباً جدّاً) والعروض ترى، ويتغيّر الأبطال، ويتنافس المنتجون، ويختصم المخرجون، وتتفاوت مستويات العروض، وتتعارض آراء المحكّمين ولجانهم تبعاً للمؤثّرات اللوجستية في الصالة السوريّة.

(قريباً جدّاً) نطقها أخيراً «ترمب»، وتابع: سنغادر سورية ونترك للآخرين متابعة تنفيذ المهمّة! بينما النظام يكرّر (قريباً جدّاً) سنقتحم «دوما» إذا لم يغادرها أهلها، ومن يدافع عنهم، بل إن ديمستورا يردّد (قريباً جدّاً) سيُعقد جنيف 10 لإنجاز مشروع الدستور والانتخابات!

هذه العبارة جمعت كلّ الأعداء والمتخاصمين ووحّدتهم..! ولم يَقُل أحد (قريباً جدّاً) تنتهي معاناة السوريين بمناصرتهم أو سقوط نظام القتل أو تحويله إلى محكمة جرائم الحرب! (قريباً جدّاً) جوقات الإنشاد باتت تردّدها بمصاحبة لون الدم وشُؤْم الدمار، مبشّرة بتأهُّل النظام وعودة سورية إلى حضنه.

ونقول للجميع (قريباً جدّاً) -وإن بَعُد تحقيقها- بعد انتهاء حروب الآخرين، سيكون للسوريين يوم للأرض.. أبطاله أطفال سورية، أبناء اليوم..

شقة الحفيد الأمريكي

شريف صالح

أنهيت بقية الإجراءات مع البنك وأخبروني أنهم انتهوا من إعادة الطلاء، وبعد العصر استلمت مفتاح شقتي الجديدة ومعه بوستر كبير لسعاد حسني.

الشقة التي دفعت فيها تحويشة العمر وسأظل أدفع بقية أقساطها للبنك عشرين عاماً أخرى! كانت ما زالت خالية من الأثاث باستثناء سرير نحاسي عتيق عثرت عليه في غرفة النوم. من شدة التعب نمت عليه رغم أن رائحة الطلاء الذي لم يجف بعد.. كانت تثير حساسية صدري. انتبهت قبل أن أغفو إلى صورة على الجدار.. عروسان في ملابس الزفاف بالأبيض والأسود.. لابد أنها صورة الزوجين اللذين كانا يعيشان هنا. تبدو كأنها التقطت في أربعينيات القرن الماضي! لا أدري لماذا لم يأخذها معه حفيدهما الأمريكي الذي اشتريت منه الشقة رغم أنه كان حريصاً ألا يتنازل لي عن جنيه واحد!

استيقظت عند منتصف الليل تقريباً على عزف أكورديون كئيب ينبعث من مكان ما، وانتبهت إلى خرير صنبور في الحمام. شعرت بجسدي ثقيلاً. صداع في عيني اليسرى. ما ضايقني أكثر أن الكهرباء كانت مقطوعة عندما استيقظت. تثاءبت وخرجت إلى الصالة لإغلاق صنبور المياه. لا أتذكر إن كنت تركته مفتوحاً أم لا.. كان باب الحمام على يسار باب الشقة مباشرة، وقبل أن أصل إليه لفحتني هبة هواء ساخنة. تأكدت من إغلاق الصنبور بإحكام وتخايلت بفأر صغير يفر من نافذة الحمام. عدت للاستلقاء في غرفة النوم لكنني سمعت خرخرة الماء في الحمام مرة أخرى، فنهضت متذمراً. أثناء مروري في الصالة وعلى ضوء قمر شاحب، يتسلل من مكان ما، لمحت امرأة عجوز منكوشة الشعر وهي تعبر الصالة منحنية. لم أستطع أن أرى وجهها! ورغم إنحنائها رأيتها تسير بسرعة وتسبقني إلى غرفة النوم. أصابني الرعب والذهول فجريت عكس اتجاهها وفتحت باب الشقة لأستنجد بالجيران.

وقفت أمام باب الشقة ألهث ولا أعرف ماذا أفعل ولا ماذا أقول؟! في الردهة بين الشقق الأربع لمحت عجوزاً مسرنماً يرتدي بيجامة نوم مخططة وطاقية من نفس قماش البيجامة.. كان يسير جيئة وذهاباً ويدخن سيجارة.. تضاعف إحساسي بالرعب والهلع. أعطيت أمراً للساني كي يهتف:

ـ «الله.. الله.. الله»

لم يهتف!

كان لساني عاجزاً، محجوباً، معقوداً لا ينطلق.

كل ما آراه سيختفي لو ذكرت اسم الله.. كان هذا يقيني. وبكل طاقتي الروحية استحضرت في قلبي فرقة مولوية كاملة تدور وتدور.. ولا تنشد إلا «الله.. الله.. الله» بإيقاع أبدي.. لأذوب مع الفرقة فيصعد صوتها عبر لساني إلى الخارج. ستعود الأمور إلى طبيعتها لو دوى لفظ الجلالة في أرجاء الشقة.

ارتميت مستنداً إلى الجدار أمام الشقة. لا أقوى على الوقوف. كنت ألهث من فمي الموارب بصوت مسموع.. لساني كما هو لا يتحرك بأي كلمة. انتبهت إلى أنني تركت باب الشقة مواربا عندما رأيت العجوز المسرنم بملابسه المخططة يمر من أمامي مبتسماً، ثم فجأة هز رأسه لأعلى ونفر بجسده النحيل جداً كالوتر:

ـ «حي.. الله.. حي.. الله حي»

ظل صوته وإيقاعه مطابقاً لصوت المولوية المحبوس في داخلي. ما زلت جالساً مستنداً على الجدار ولا أقوى على الحركة. جاءت المرأة العجوز وسحبت زوجها المسرنم من يده إلى داخل الشقة.. ثم سمعت اصطفاق الباب.

بيت في بيروت

نجاة عبدالصمد

صار لها بيتٌ في بيروت!

بيتها الطافح دوماً بالضيوف يقبع هناك في الأسفل، حيث سينتهي هذا الدرَج الطويل، الدرج الاسمنتي المتكسّر الضلوع، الزاحف نحو بطن الأرض.

في العتمة المقيمة تهلّل للضيف رائحة البازيلا، والبطاطا ونهنهات الرز وهو يلين في الطنجرة الكريمة على صغرها. (منذ متى نوت هذه البنت أن تصير نباتية؟!).

تزوغ أولاً تفاصيل الأثاث، وحين تألف العين العتمة يمكن تلمّس الزغب على مفارش الكنبتين المتوارثتين من نازحٍ ترك المكان لنازحٍ يرثه. لا لوحات على الجدران. على الطاولة ثروة ذوقية فاخرة: حلوى جلبها أحد القادمين من الشام، وجهاز كمبيوتر يوزّع المهمات، ويأتي بأخبار الأهل خلف هذا العتم، يقول حيناً ما يهدّئ الروع وأحياناً ما يشعل الرأس.

على الأرضية بساط مدعوك بأقدام كثيرة حدث أن التقت هنا، ومن هنا انطلقت تحمل للنازحين كساءً وطعاماً ودواءً ولوازم مدرسية.

وراء الباب دهليزٌ صغير يقود من صالة المطبخ إلى غرفة النوم حيث يكون البيت الفسيح والمشمس قد اكتمل...

حين تصير وحدها في الليل، تسبل عينيها الفسيحتين، وتفتح قلبها الوسيع، وتنقر بأصابعها الذهب على خشب السرير، وتطلق صوتها الرخيم يغنّي، يعبر العتمة مسافراً بالعتابا والميجنا إلى بيتٍ لها كان في الشام وسيعاً ومشمساً.

قصيدة الدكتاتور ذو الرقبة الطويلة

حمزة رستناوي

أحاولُ ترقيعَ ذاتي
أقرنُ الحرَّيةَ بالذُّلِّ والعذاب
تَتَقَلَّصُ زوايا تفكيرهم
وتدورُ بهم الدوائر
أنا حرِّيتهمْ
أنا خسوفُ الشمسِ في رَابعةِ النهار.
*ستقولُ الرواياتُ بأنّي قاهرُ السوريينَ وأصدقائهم
قاهرُ كثبانِ الصَّحارى وبترولهمْ
صديقُ فارسَ، قاهرُ الرومِ ومَحْظِيَّاتِهِمْ
سأحيلهم إلى رميمٍ
وأبكي ذاتَ العمادِ على قافلةِ الروايات
فلا تَتَّهِموني بحُبِّ أهليَ عَنْ غيرهم
عشيرتي حاضنةُ القنابل
وأمِّيَ حمّالةُ لبراميلِ T N T
أبي مُطلَقُ العينينِ قَذَّافُ اللهب.
*هزيمتي سيدةُ الفعلِ
وهزيمتُهُمْ في مأوى دارِ البلاغة
سيقولُ عَنّيَ رجالهم
عسى فرجٌ مِنَ اللهِ قريب.
سأقولُ لهم: أنا أُحْيي وأُميت
سأُفرِجُ عَنْ بعضكم إلى الجحيم
دبَّابَاتي، مَدْفَعِيَّتي، راجماتُ صواريخي
أَحِبَّتي، أيُّتها القنَّاصَةُ سَدِّدي جيداً
أمَّا أنتِ أيّتها الطائراتُ
فَلِي فِيْكِ غزلٌ وميغ.
*
في منامي سأنبشُ قتلاهم مِنْ بئرِ زمزم
لأستبينَ لونَ ثيابِ إِحْرَامِهِم
سأصبغُ المياهَ الجوفيَّةَ بضجيجِ دمائِهِم
وأستعينُ عليهم بحُرْقَةِ أمَّهاتِهِم
يتنبؤون بسقوطي!
حسناً.. سَأُسْقِطُهُم في بئرِ أعمى
وأرمي أشرفَ أحجارهم عليهم.
*
عورتي في إناثِ الفضائل!
إيماءتي فحولةٌ مُعْتَرَضَة
حكايتي سَرْمَدٌ ومراسيمي نواقيسُ للأقليَّةِ الساحقة.
على نَفْسِ الوتيرةِ أُعَزِّزُ المكاسبَ
لأتابعَ حُكْمَهُم، يوماً بعدَ يوم .. عاماً بعدَ آخر.
في الحياةِ إلى أبعدَ مِنْ نهايتِهَا
وفي المماتِ إلى أبعدَ مِنْ بدايَتِه.
*
هُمْ عابرونَ في تاريخِ عائلتي
أتوَشَّحُ عباءةً مُضَادَّةً للدُروعِ تركها لي والدي
وأتقمَّصُ روحَ جدّيَ على قارعةِ الطريق.
*
التعدُّدِيَةُ مرآةُ الأنوثةِ
والأحاديَّةُ مرآةُ الرجولة
أنا رجلٌ على أنوثتهم.
أمتطي الوطنَ كي يَشْهَدَ ميتافيزيقيا الخراب
لا تحزنْ أيُّها الوطنُ الصغير
سأجعلُكَ كبيراً مثليَ
مُتَقَوقِعَاً في البناءِ على نفسكَ المُتعبة.
*
خليطُ الدونيَّةِ يهبُّ على مزاجي
الحكمُ عَظْمَة
وعلى عتباتِ سيّدِ الوطنِ الذي لمْ أَرَهُ
سيتفتَّتُ الوطنُ مِنْ بعديَ كرغيفِ خبزٍ يابسٍ
في الطريقِ إلى بيتِ لحمٍ عزيز.
*
هرطقاتُ أيامٍ
وأدعيةُ أمَّهاتٍ تلوكُهَا الريحُ
على حبلِ غسيلِ الانتقام
أعرفُهمْ جيِّداً.. لا يُحِبّوني.. ويَخْذِلُوْنَ كما خذلوا أبي ..
هلْ أنا مُسْلِمٌ في عُرْفِهِم؟! جوهرةُ إسلامهمْ غريبة عنّي..
وأنا الغريبُ الحاكمُ في أعناقهم
دَيْنَاً لا يقبل الوفاء!
الفواجعُ سوداءُ مثلَ قلوبهم
سَأَنْقُلُ في سعادتهمْ عبرَ المَحَطَّاتِ
أتركهمْ عُرْضَةً للنهبِ والأحلام.
*
الفقراتُ التي وَرِثْتُهَا عنْ أجداديَ الديناصورات
سأجعلُهَا زنازينَ لهم
والشرايينُ التي ألهمتني الحياةَ
سألفُّهَا حولَ أعناقهم
في مجدِ رقبتي ستعيشونَ
وأسفلَ ذقني سأنصبُ طاولةً للحوارِ
تحتَ سقفي أنا
تحتَ سقفي
تحتَ سقفِ الوطن.

رواية «سيدة الزمالك».. تاريخ البلد بعيون جريئة

القاهرة - خاص

بعيداً عن التقريرية النمطية في روايات كثيرة هذه الأيام، وبعيداً عن الفانتازيا الفجة المملة وكتابات روائية مستوحاة مباشرة من ثورة يناير بمشاهد حرفية خيالية بعيداً عن أي خيال لدغدغة العواطف وكسب التعاطف فإن الامر هنا مختلف تماماً، ففي رواية سيدة الزمالك الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية للكاتب الروائي أشرف العشماوي نجد أن هذا أدب حقيقي ممتع صادق، في هذه الرواية البديعة يفاجئنا العشماوي كعادته بشخصيات كثيرة متنوعة الحقيقة، يبتدعها من خياله بهذه السهولة والسلاسة والقدرة على الخلق، الغلاف ومن بعده الإهداء الخادع في بداية الرواية يشي بأن الأحداث مستوحاة من قصة حقيقية، لكننا نكتشف بعد نهاية الرواية أنه إهداء شخصي بحت لصديقة له توفت من مرض السرطان ولا علاقة له بالأحداث، لكنه بالتأكيد أبدع في سردها عبر أصوات خمسة مختلفة تمام الاختلاف، وهنا تكمن الصعوبة وتظهر البراعة.

لعبة الأصوات والزمن في الرواية تكشف بحق عن احترافية العشماوي، ليست حكاية وحسب، فالرواية عميقة، والقارئ النوعي سيجد بين السطور الكثير الذي يرضى غروره ويشبع أفكاره، ويرى بعمق كيف هوت بلداً بحجم مصر في هذا المستنقع الكئيب. هنا تظهر براعة العشماوي وهو يقدم لك بين السطور المسرودة بطريقة سلسة للغاية أسباب الانهيار دون أن يقول لك شيئاً لا يدافع ولا يهاجم بل بالعكس اختار الحياد من أول كلمة لما هجر أسلوب الراوي العليم وركن إلى ضمير الأنا المتكلم ليحكي كل بطل من وجهة نظره ما حدث، فبناء هذه الرواية مختلف تماماً عن كل روايات العشماوي، صحيح سبقه غيره كثيرون فيه لكنه أبدع أيضاً مثلهم، وهو لا يعتمد على حبكة رئيسية وتصعيدها كما اعتدنا منه، بل جعل سرده عبارة عن حبكات صغيرة وحكايات منقوصة تتشابك مع بعضها البعض حتى يكاد القارئ ألا يشعر بالتنقل بينها من كثرة التشويق والجذب الروائي في النقلات من خلال سرد سلس للغاية، أيضاً تمتد خيوط السرد الأنثوي بنعومة في ناديا وزينب لتنسج بالرواية خيوطاً رومانسية وأنثوية مبهرة أجاد الكاتب في تقمص شخصياتها على نحو مذهل وكأنه ممثل قدير لا كاتب محترف فحسب، لا يمكن أن تعرف صوت الراوي أبداً فقد تخفى العشماوي ببراعة وراء كل شخصية تقمصها حتى النخاع في هناتها وحركاتها ومفرداتها فكان العشماوي هو ناديا وزينب وعباس ومراد وطارق في الوقت ذاته.

اللافت في هذه الرواية هو التقاط مشاهد ذكية للغاية من التاريخ المعاصر للإسقاط على الحالي في هدوء وبراعة فلا يمكن اغفال مشاهد فساد العهد الملكي وكوارث العصر الناصري وأيام النكسة وأيام السادات التي وصفها وكأنه عاشها، لتأتي النهاية متوقعة بانحدارنا أكثر وأكثر ومع ذلك يفاجئنا الكاتب بأمر آخر تماماً لم يكن في الحسبان لتكون نهاية مفتوحة في منتهى القوة والتشويق. العشماوي ببراعة وخفة هرب من فخ النمطية لما غير مسار شخصياته كلها نحو ناديا المحلاوي لتكون هي قبلة الأبطال تنتهي الأحداث كلها عند قدميها لتركلهم تباعاً وتفاجئنا بنهاية غير متوقعة على الإطلاق.

رواية سيدة الزمالك في جملة واحدة هي كيف هوت مصر من زمن جميل إلى القاع في سنوات قليلة وعلى يد من وهذا هو الأهم، هذه رواية ستكتب اسم العشماوي نافراً في تاريخ الروايات العربية فكما نجح في التشويق والجماهيرية حافظ بذات القدر على أسلوب أدبي راق ولغة سلسة وبناء محكم..

الاستفتاء

آرام كرابيت

وقفت أمام باب خشبي عتيق لدكان صغير في حارتنا في مدينة القامشلي، لونه أخضر. وضعت يدي حول خصري، متأملاً، يغمرني الفخر والاعتداد بالنفس أمام صورة حافظ الأسد في أعلى صفحة ورقية للإعلانات هو ضمنها، وتحته تماماً دائرتان إحداهما باللون الأحمر والأخرى باللون الأسود. ويشير اللون الأحمر إلى كلمة، هل أنت موافق، أما الأخرى ذات اللون الأسود فتشير، هل أنت غير موافق؟

كنت وقتها في الثالثة عشرة من العمر. في هذه اللحظة دبّ فيّ الحماس فدخلت إلى الدكان وطلبت من صاحبه قلماً لأعبر عن رأيي في هذه الورقة الملصوقة على الباب، ولأضع إشارة على إحدى الدائرتين.

زجرني العم حنا وقال لي:

ـ انقلع من هنا.

وقفت مبهوتاً أنظر إليه:

ـ ولماذا هذا الكلام الثقيل يا عم. أريد أن أعبر عن قناعتي كما تشير هذه الورقة.

ـ اذهب إلى شغلك هذه الورقة ليست لك أو للعب.

ـ من قال لك أنني ألعب. أريد أن أدلي بصوتي، فلماذا تمنعني من إبداء الرأي؟

ـ ما زلت صغيراً على هذا الأمر. ثم الناس لا يصوتون على أبواب الدكاكين. عليك الذهاب إلى المركز، وصوّت هناك.

ـ وأين هو المركز؟ أريد الذهاب إليه الأن.

ـ الساعة الأن تشير إلى السادسة بعد الظهر. كما تعلم أن أغلب دوائر الدولة أغلقت الأن.

ـ إذا ذهبت غداً هل سيسمحون لي بالتصويت؟

ـ لا أعتقد. امشِ من هنا. هذا التصويت ليس لك.

لا أعرف لماذا دبّ فيّ الحماس في هذه اللحظة. فأنا لم أكن أعرف أي شيء عن حافظ الأسد سوى أنه رجل الولايات المتحدة في سوريا. كما لم أكن أعرف ماذا تعني الولايات المتحدة لنا كسوريين، ولا الفارق بين الاستفتاء والانتخاب، ولا لماذا أردت أن أعبر عن رأيي.

ربما شعرت في هذه اللحظة أنني ودعت فترة الطفولة وأصبحت رجلاً يحسب له ألف حساب. وربما العاطفة الفائضة عن الحاجة هي السبب. وربما لأن تفكيرنا مشكل من عدة عواطف متناقضة. وربما أصبح لي مكانة وقدرة على السيطرة على قراري لهذا شعرت أنني أستطيع أن أصوّت بالرفض أو القبول لأعلى منصب في البلاد.

منذ طفولتي المبكرة كنت أشعر بالتهميش، أنني دون صوت، دون إنسان يسمع صوتي.

ظننت للوهلة الأولى أنني خطفت الزمن وتحولت بين لحظة وأخرى إلى كائن آخر. لهذا لم يكن يهمني زجر صاحب الدكان حنا. وظننت أن التصويت يجب أن يكون على الأبواب الخشبية الخضراء العتيقة. بالنسبة لي في ذلك الوقت ليس مهماً من هو صاحب الصورة وماذا يعني. كنت أعني نفسي في هذا الوقت الميت.

دخلت إلى البيت رأيت أخواتي وأمي إلى جانب مدفأة المازوت متحلقين حولها، في حالة صمت مطبق، كل واحد في يده كتابه يقرأ أو يكتب وإلى جوارهم القطة رورو تشخر. قلت لأمي:

ـ غداً سأذهب إلى المركز لأصوّت للرئيس.

ضحكت والدتي حتى كادت تقع على ظهرها من شدة السخرية.

ـ ماذا قلت لي؟

ـ أريد أن أصوت.

ـ بلا تصوت بلا بطيخ. اذهب وبدل ثيابك وتعال لتأكل لقمة من الطعام الذي جهزته لك. ليس وقته هذا الكلام الفارغ.

ـ لماذا تسخرين مني؟ لماذا تتعاملين معي على أني طفل صغير؟

ـ أليس حافظ الأسد هو الشخص الذي وضع أصدقاءه في السجن وجلس فوق عظامهم.

ـ لا أعرف. ولماذا سجنهم؟

ـ وتريد أن تصوّت؟ وأنت لا تعرف أن هذا الرجل عمل انقلاب على رفاقه قبل ثلاثة أشهر ووضعهم في السجن دون أن نعرف لماذا فعل هذا الاستفتاء ولمصلحة من؟

ـ كلامك منطقي يا أمي، بيد أن السؤال يقول:

ـ لماذا سجن رفاقه؟

ـ أنت من يريد أن يصوّت وليس أنا.

ـ صورته يا أمي تشير إلى البراءة والطيبة. الرئيس يريد رضا الناس.

ضحكت أمي مرة ثانية في ظل العيون المفتوحة على وسع من قبل أخواتي الصغار. كل واحد منهم مال برأسه وعينيه إلى زاوية أفقية وعمودية، يتابعون حديثنا دون أن يفهموا شيئاً.

ـ قلت لي صورته بريئة؟ وهل رؤساء الدول أبرياء؟ هل سمعت بإنسان يقفز إلى أعلى منصب في الدولة وبريء؟

طويت نفسي على نفسي خجلاً وأخذت الملعقة ومضيت آكل الطعام بصمت دون أن أرفع رأسي.

في تلك الفترة كانت الحياة السياسية العالمية في حالة انتقالات كثيرة، انفتاح الصين على العالم الخارجي، المناوشات بين الهند والباكستان، الحرب الأمريكية على فيتنام، الاتحاد السوفييتي في قمة مجده وقوته، الحلم بالوحدة العربية، خسارة مصر والعرب لقامة وطنية كبيرة كعبد الناصر عندما مات في ظروف غامضة ومجيء السعدان أنور السادات وحديث المعلمين الغني بالثقافة والمعرفة والحماس لتحرير الأرض والإنسان من العبودية.

كنت أسمع وأتابع وأتفاعل، بيد أن التعرش على السياسة في مرحلة مبكرة جداً خطر على الطفل وعواطفه وتفكيره.

وفي هذه الفترة المبكرة، في بداية العام 1971، جلبت اتحاد شبيبة الثورة إلى حينا، ورقات بيضاء من الورق المقوى عليها صورة حافظ الأسد ووزعتها علينا:

ـ طلب انتساب للشبيبة لمن يريد؟

في هذه اللحظة أيضاً شعرت بالفخر والحماس والعاطفة الجياشة أن ألبي نداء من يعمل لي مكانة وقيمة ويحس بمكانتي بين الناس، أن أكون شيئاً مهماً يشار إليه بالبنان. قلت لحامل الورق:

ـ أنا موافق ودون تردد.

ـ أنت موافق؟

ـ نعم.

ـ هل قرأت ماذا يوجد في الورقة؟

ـ ليس مهماً قراءة مضمونها. المهم أنكم تريدون ذلك.

ـ اكتب اسمك وسنك ووقع.

وقعت بكل سرور والفرح يغمرني من رأسي إلى أخمص قدمي. وبعد انتهاء الحصة قال لي صديقي سمير:

ـ لماذا وقعت وأصبحت شبيبياً لحزب البعث بقيادة حافظ الأسد؟

ـ ماذا تعني أنني أصبحت شبيبياً لحزب البعث؟ وما دخل حافظ الأسد بالموضوع؟

ـ أنت الذي وقع وليس أنا. كان الواجب أن تسأل والدك أو أصدقائك أو أحد المقربين منك قبل أن توقع.

ركضت وراء الشبيبي الذي في مثل عمري وكان عريف الصف، قلت له:

ـ جمال أريد أن أسترجع طلب الانتساب الذي قدمته، لا أريد أن أصبح شبيبياً هذا كل ما في الأمر.

ـ لماذا؟ لماذا ندمت على ذلك؟

ـ سمير نصحني بذلك.

نادى جمال سميراً، وقال له:

ـ لماذا تحرضه ضد الانتساب؟ هذا لا يجوز! يجب عليك أن لا تتدخل في هذا الموضوع وإلا سأخبر الموجه بذلك ويرفعك فلقة ممتازة.

نظرا إلي سمير وجمال، كل واحد بعين وزاوية عين. ونظرت إلى نفسي بخجل. قلت لنفسي:

ـ أنا هكذا دائماً، أتسرع في أخذ القرارات المصيرية دون تفكير أو تروي.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

الحريـــة دائمـــاً

Her Daim Özgürlük

AL harmal
Kültür - Siyasi - 15 günde bir
رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: 78 YIL: 4 (2018)
EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa
Alharmal.journal@gmail.com
Twitter.com/AlharmalJournal
FB.com/AlharmalJournal

نصوص الحرب

مصطفى السليمان

أنا حوراء يا أبي

ما جئت أشكو إليك ولا عنّ لي بعد هذي
ا لسنين
أن أقاضي على حجر.. يا أبي جئت كيما
أراك
وتطلّ من شباك وجدها وتقول.
رسمت بيتاً له حديقة من وحيه.. يفوح
عطر يتوق إليه النحل ويجنّ الفراش
.. أنا حوراء ولي في صباح الفجيعة حب
لبيت ناره انطفأت...
لم يكن حلماً لكن من جذوة القتل تفرّق
الصحب... شتات يعقبه شتات لكنّنا
انغرسنا كزيتونة تأبى الرحيل..
ومن وجنة خباز أمي رسمت ضحكة
لولادة ستأتي.. لا بدّ أن تأتي..
وقبري لم يزل شاهداً
لكني لم أر وحياً ورأيتهم يرسمون من
وحيه
أيامنا القادمة..
أنا حوراء يا... أبي وتلك الجثة لي
وارني التراب كي أراكم مثل برتقال في
حديقة مفخخة..
* *
كلما مرَّ اسمك أمامي ينقبض قلبي..
لا صورة لك بين آلاف الصور... كلهم قالوا
إنهم شاهدوا ظلك وأنت تعبر...
تفاصيل وجهك.. لباسك.. وحتى اسمك لم
أجده..
هل أنا ضرير أم أنهم سرقوا قميصك...
ربما أنثى غضبت من ثائي وأنا أتبجح..
لكني أرثي حالي حين ألغي الشدّة من
أمة وأنا التوّاق لأن تكون مثلي..
أهذه أنت...؟! وأنا أنا.. فلنكن قطبين
لآلاف البشر شمسنا لن تغيب.. قمرنا لن
يأفل
وليكن ...
هذا القمر البداية.. هل يضجّ الحنين
بفعل السراب أم تراه مراوغاً فصل
الأنين؟..
أنثى وكل الكون أنثى وأنا من أكون؟!

زاوية حرة

هل نشهد محاكمة مجرمي الحرب..؟!

يوسف دعيس

أعمال التهجير القسري، وما يعقبها من تغيير ديمغرافي في مناطق النزاعات والحروب، تدخل في باب الجرائم الموصوفة، والتي تصنف ضمن جرائم الحرب ضد الإنسانية، لأنها بالدرجة الأولى تحدث في زمن الحروب والنزاعات، خصوصاً إن جاءت على خلفية نزاعات إثنية عرقية أو طائفية أو مذهبية، وخير مثال على تجليات هذه الجريمة ما يجري على الساحة السورية.

النظام السوري، الذي اتسم بإجرام غير مسبوق، اعتبر كل المناطق التي خرجت عن سيطرته، هي حاضنة للإرهاب، يجب اجتثاثها، وتغيير بنيتها السكانية، ليصل إلى غايات يسعى من خلالها إلى تمرير مشاريع طائفية، يقودها علناً نظام ولي الفقيه الإيراني، الذي ساند النظام السوري ضد الشعب السوري منذ الأيام الأولى التي أعقبت انطلاقة ثورة الحرية والكرامة، وقدّم له المال والعتاد والرجال، وعلى خلفية هذا الدعم اللامحدود، سعى النظام إلى تقديم التنازلات بدءاً بأعمال التجنيس للفصائل الإيرانية والأفغانية والعراقية واللبنانية التي ساندته، وكانت هذه البداية في مسائل التغيير الديمغرافي، وشملت المناطق المحيطة بدمشق، وأولاً في مناطق الغوطة الغربية ووادي بردى، ثم انتقلت مؤخراً إلى مناطق الغوطة الشرقية التي تشهد هذه الأيام وعلى مرأى من المجتمع الدولي بقضه وقضيضه أعمال تهجير ممنهجة لأهالي الغوطة الشرقية، الهدف من ورائها إخلاؤها من سكانها الأصليين واستبدالهم بسكان متجانسين، كما يقول رأس النظام، تخلو من مظاهر المعارضة التي تسعى لإسقاط النظام، وما جرى في محيط دمشق ليس ببعيد عمّا جرى في حمص وريف حماة.

التغيير الديمغرافي لم يقتصر على النظام السوري، بل تبناه أكثر من فصيل مسلح، كما فعل حزب الاتحاد الديمقراطي، وذراعه العسكري قوات حماية الشعب وحماية المرأة في مناطق ذات أغلبية عربية، حيث تم هدم وتجريف قرى وتهجير سكانها العرب في محافظتي الحسكة والرقة، تحت حجة الانتماء إلى داعش، أو الإرهاب، وأيضاً ما فعله داعش بحجة تكفير الناس والتعامل مع التحالف وغيره، وإن انكفأت داعش إلى غير رجعة، بقيت آثار أفعال البيدا في المنطقة شاهداً على ارتكاب جريمة حرب ضد الإنسانية، جريمة موصوفة تمت جهاراً نهاراً دون أن ينال مرتكبيها العقاب.

المشكلة في الأمر أن أطرافاً دولية وإقليمية تسهم في تمرير هذه الأعمال الإجرامية، وهي إن لم تسهم بشكل مباشر بمساعدة هذه الأطراف، تغض الطرف عنها، وعن مرتكبيها، وتترك ضحايا أعمال التهجير عرضة للضياع، وكأنهم لا ينتمون إلى البشرية، لا يتمتعون بأي حقوق قانونية أو إنسانية.

ما يجري في الغوطة الشرقية جريمة حرب كاملة الأركان، وما جرى في مناطق سيطرة البيدا وحزب الله اللبناني، جميعها جرائم حرب ترقى دون أي شك إلى جرائم حرب ضد الإنسانية، يجب أن يُسأل عنها النظام السوري أولاً، ثم روسيا الدولة المحتلة التي ساندت النظام المجرم بتمرير مثل هذه الجريمة، إضافة إلى نظام ولي الفقيه الإيراني، وحزب الله والبيدا، وإحالة هذا الملف بكل التوثيقات التي حصلت في جميع المناطق السورية إلى محكمة الجنايات الدولية، والاقتصاص من الأشخاص الذين قاموا بهذه الانتهاكات بحق الشعب السوري.